﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ١٠٥﴾ [الأنعام: 105]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

إصـــرارُ الـكـافـرِ عـــلى ضَـــلالِـــه مُقدَّمٌ عنده مع وضوحِ الحَقِّ في بُرهَانِه

بَعدَ أن بيَّنَ سبحانه في القِطعَةِ القُرآنيَّةِ السَّابقَةِ الآياتِ الكَونيَّةَ، ثُمَّ أتبَعَهَا بإيرَاد آياتِ القُرآنِ الكَريم الَّتي تَتُمُّ على قُدرَةٍ سَامِيَةٍ فائِقَةٍ علمًا وإدراكًا وحفظًا، لا تَصدُرُ عن مَخلُوقٍ قَطعًا؛ فَقَد بيَّن هُنا وَجهَ اعتراضِهم، وتَزيينَ الشَّيطَانِ لَهُم في الأقوالِ والأفعالِ؛ إذ يتَّهِمُونَ الرَّسُولَ بالدِّراسَة المُسبَقَةِ، وأنَّهُ قَد تَلَقَّى العِلمَ عَلى يَدِ عُلَماءِ اليَهودِ والنَّصارَى مِن قَبلِه، فَدَارَسَ عِندَهُم عُلُومَهُم، ثُمّ أتَى بِهذِهِ الآيات، فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نُصَرِّفُ﴾: جَذرُ الكَلِمَةِ هُو (صَرَفَ)؛ الصَّرْفُ: رَدُّ الشَّيءِ من حَالةٍ إلى حَالةٍ، أو إبدَالُهُ بغيرِه، يُقال: صَرفتُهُ، فانصَرَفَ، قَالَ تَعَالى: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ﴾ [آل عمران: 152]، وقَولُه: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ [التّوبة: 127]، وقَولُه: ﴿فَمَا تَسۡتَطِيعُونَ صَرۡفٗا وَلَا نَصۡرٗاۚ﴾ [الفرقان: 19]، أي: لا يَقدِرُونَ أن يَصرِفُوا عَن أنفُسِهم العَذابَ، أو أن يَصرِفُوا أنفُسَهُم عنِ النَّار[1]، والمَعنَى المُرادُ في الآيَةِ: أنَّهُ سبحانه يُصَرِّفُ الآيَاتِ، فَيُبَيِّنَهَا لَهُم مِن حالَةٍ إلى حالَةٍ، ومِن وَجهٍ إلى آخَرَ، فتَظهَرَ، وتَبينَ.

2) ﴿دَرَسۡتَ﴾: جَذرُ الكَلِمَةِ هُوَ: (دَرَسَ)، والدَّرسُ: دَرْسُ الكتابِ

(1) الرّاغب الأصفهانّي، المُفردات: (صرف).

للحِفظ، ودَرَسَ دِراسةً، ودارَستُ فُلانًا كِتابًا لِكَي أحفَظَ[1]، وَرَجُلٌ مُدرَّسٌ: مُجَرَّبٌ، ودَرَسَ الكِتابَ للحِفظِ: كَرَّرَ قِرَاءتَهُ درسًا ودِراسَةً، واجتَمَعَت اليَهودُ في مَدَارِسِهِم، وهو بَيتٌ تُدرَّسُ فيه التَّوراةُ[2]. وقَوله: حتَّى أتَى المِدرَاس، هو البَيتُ الَّذِي يَقرَأُ فِيهِ أهلُ الكِتابِ كُتُبَهُم، ودَرَستُ الكِتابَ قَرَأتُهُ[3]، والمقصودُ بالآيةِ: اتِّهامُ النَّبيِّ ﷺ بأنَّه درَسَ العِلمَ على أيدي أهلِ الكتابِ، تعريضًا بأنَّ القرآنَ مِن زَعمِهِ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ﴾، أي: مِثْلَ هذا التَّنويعِ في البَيانِ، وتوضيحِ الحُجَّةِ والبُرهانِ نُبيِّنُ الآياتِ الدَّالَّةَ على صِدقِ الرِّسَالَةِ، فما يزيدُهُم إلَّا عِنادًا وإنكَارًا، وقولُهُ: ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾، إنكارٌ مِنهُم لأُمِّيَّةِ الرَّسُولِ الَّتي هِيَ مُقتَضَى المُعجِزَةِ؛ إذ كَيفَ يَكونُ لأُمِّيٍّ أن يَأتِيَ مِن عِندِهِ بِكِتابٍ مِثْلِ القُرآنِ الكريمِ، فَيَقُول المُعانِدُونَ: دَرَستَ هذا على غَيرِكَ مِن عُلَماءِ أهلِ الكِتَابِ، وليسَ هذا بِوَحيٍ، وقولُهُ: ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾؛ إذ هُم الَّذِينَ يَتأمَّلُونَ، ويَتَبَيَّنُونَ حَقِيقَةَ ما فيهِ مِن أنواعِ البَيانِ المُؤَيَّدِ بالحُجَّةِ والبُرهانِ[4]، ومُجمَلُ معنى الآيَةِ: ومِثْلَ هذا التَّنْويعِ البَديعِ في عَرضِ الدَّلَائِلِ الكَونِيَّةِ، نعرِضُ آياتِنا في القُرآنِ مُنوَّعَةً مُفَصَّلَةً؛ لنُقيمَ الحُجَّةَ بها على الجاحِدين.

تصريفُ الآياتِ يكشفُ عن معادنِ النَّاسِ إيمانًا وتصديقًا أو كفرًا وعنادًا

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

مَعنَى الوَاوِ فِي قَولِهِ تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ﴾:

نوَّهَ الخطابُ بِشَأنِ ما ذَكَرَ مِنَ الآيَاتِ، وَوَبَّخَ الَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ

إمَّا أن تكونَ اعتراضيَّةً للتَّذييلِ، أو استئنافيَّةً للانتقالِ مِنَ الآياتِ الكونيَّةِ إلى القرآنيَّةِ

(1) الفراهيديّ، العين: (درس).
(2) الزّمخشريّ، أساس البلاغة: (درس).
(3) القاضي عيّاض، مشارق الأنوار: (درس).
(4) الموصلّي، أولى ما قيل: 3/352.

بالآياتِ العَظيمَةِ الَّتي لَيسَ بَعدَها إلَّا الضَّلالُ في قَولِه: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾، والواوُ إمَّا أن تكون اعتراضيَّةً، أو استئنافيَّةً.

فعلى مَعنى أن تَكونَ اعتراضيَّةً تَكونُ الآيَةُ تَذييلًا لِما قَبلَها، فَهِيَ مُتَّصِلَةٌ بِجُملَةِ: ﴿قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ﴾ [الأنعام: 104]، الَّتي هِيَ مِن خِطابِ اللّهِ تعالى لرَسُولِه ﷺ بِتَقديرِ: (قُلْ)، وأشَارَ بِقَولِه: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ إلى التَّصريفِ والتَّبيينِ في قَولِه: ﴿نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾، أي: وَمِثْلَ ذلكَ التَّصريف والتَّبيين نُصَرِّفُ الآيات، ونُبيِّنُها لكُم.

أمَّا إنْ كانَتِ الواوُ استئنافيَّةً؛ فالمَعنَى المُستَفادُ مِنها إلفاتُ النَّظَرِ إلى تَصريفِ الآيات، وأنَّها كافِيَةٌ لِذَوِي العُقولِ النَّيِّرَةِ أن يُؤمِنوا دُونَ ما يُذكَرُ مِنَ الأدِلَّةِ المَادِّيَّةِ الَّتي سَبَقَ تَصريفُهَا في القُرآنِ الكريم، ثُمَّ إنَّ (واوَ الاستِئنَاف) هُنا فَصَلَت بَينَ نَوعَينِ مِن أدِلَّةِ الهدايَةِ: الأوْلَى هِيَ الأدِلَّةُ العِلميَّةُ والكَونِيَّةُ في الخَلقِ والتَّقدير، والثَّانِيَةُ هِيَ أَدِلَّةُ الإعجازِ في آياتِ اللّهِ في القُرآنِ الكريمِ الَّتي تَقتَضِي العِلمَ والدِّرَاسَةَ بِقَرِينَةِ قَولِه: ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ﴾، فَجَمَعَت بَينَ آياتِ الكِتابِ المَنظورِ، وآياتِ الكِتابِ المَسطورِ، فَيَكتَمِلُ البُرهانُ، وتَستَقِرُّ الحُجَّةُ على الَّذينَ لا يُؤمِنُون.

بلاغَةُ دُخولِ كافِ التَّشبِيهِ على اسمِ الإشارَةِ:

تشبيهُ تصريفِ الآياتِ القرآنيَّةِ بالبصائرِ لاستحضارِ الصُّورةِ وتقويةِ الطَّرفين

قَولُهُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾، وَرَدَ مِثلُ هذا كثيرًا في القُرآن، كأسلُوبِ رَبطٍ بالتَّشبِيهِ والإشارَة، والتَّصريفُ إجرَاءُ المَعنَى الدَّائِرِ في المَعاني المُتَعاقِبَة، ونَقلُ الشَّيءِ مِن حالٍ إلى حالٍ[1]، أي: وَمِثلَ ذَلِكَ التَّصريفِ والتَّفَنُّنِ العَلِيِّ الشَّأنِ البَعيدِ الشَّأوِ في فُنونِ المَعاني وأفنانِ البَيانِ، الَّذي تَرَاهُ في هذهِ السُّورَةِ أو هذا السِّيَاقِ نُصَرِّفُ الآياتِ في سائِرِ القُرآنِ؛ لإثباتِ أُصولِ الأديانِ، والهِدايَةِ لأحاسِنِ

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 2/176.

الآدَابِ والأَعمالِ، فَنُحَوِّلُهَا مِن نَوعٍ إلى نَوعٍ، ومِن حَالٍ إلى حَالٍ، مُراعاةً للعُقولِ والأَفهامِ، ولاختِلافِ استِعدَادِ الأَفرَادِ والأَقوَامِ[1].

فَائِدَةُ استِعمَالِ اسمِ الإشارةِ الذِي لِلبَعِيدِ في: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾:

المشارُ إليه بعيدٌ في منزلتِهِ عالٍ في مكانتِهِ

في قَولِهِ تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ﴾ جاء استِعمَالُ اسمِ الإشارَةِ للبَعِيدِ (ذَلِكَ)؛ لِبَيَانِ تَصرِيفِ الآيَاتِ بتنزيلِ المشارِ إليه في مكانٍ بعيدٍ ومكانةٍ عاليةٍ، ومنزلةٍ سامقةٍ، وذلك لجمعِهِ بين البُعدِ في المنزلةِ، والعلوِّ في المكانة، الَّتي لا تخفى على ذي بصرٍ وبصيرةٍ.

سِرُّ استِعمَالِ مُفرَدَةِ ﴿نُصَرِّفُ﴾ بَدَلًا مِن (نُفَصِّلُ) أو (نبيِّن):

تَنويعُ الآيَاتِ وتَبيينُهَا مِنهاجٌ قُرآنِيٌّ مَكِينٌ في مُحاجَجَةِ المُنكِرِينَ والمُعانِدِينَ

التَّصريفُ مَعنَاهُ: التَّنويعُ، والمُرَادُ: أنَّ اللهَ تعالى يُنَوِّعُ الآياتِ الدَّالَّةَ على المَعاني الرَّائِعَةِ الكاشِفَةِ عن الحَقائِقِ الفائقَةِ، ويُصَرِّفُها تَصريفًا بَلَغَ في الرَّوعَةِ مَبلَغًا ارتَقَى عَن إدرَاكِ المَخلُوقِين[2]، قَالَ تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ﴾ [الأنعام: 105] على خلافِ قَولِهِ في السُّورَةِ نَفسِها: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ [الأنعام: 55]. والفَصلُ إبانَةُ أَحَدِ الشَّيئَينِ مِنَ الآخَرِ حتَّى يَكونَ بَينَهُما فُرجَةٌ، وَمِنهُ قِيلَ: المَفَاصِلُ[3]، أمَّا الصَّرفُ؛ فهو رَدُّ الشَّيءِ مِن حالَةٍ إلى حالَةٍ، أو مِن أمرٍ إلى أمرٍ، قال تعالى: ﴿وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَٰتِ﴾ [الأحقاف: 27]، وقالَ: ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾ [طه: 113]، وَمِنهُ: تَصريفُ الكَلامِ[4]، أي: تَنويعُهُ وتبيينُهُ، فَقَولُهُ: ﴿نُصَرِّفُ﴾ هنا لِلدِّلالة على التَّنَوُّعِ في الآياتِ وإبانَتِها.

وقد وَرَدَ التَّصريفُ في القُرآنِ الكريمِ في مَواضِعَ عَدِيدَةٍ مِنها ما وَرَدَ في السُّورَةِ نَفسِها: كقولِهِ تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِۦ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنعام: 46]، وقوله:

(1) رشيد رضا، تفسير المنار: 7/548.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/170.
(3) الرّاغب الأصفهانّي، المُفرَدات: (فصل).
(4) الرّاغب الأصفهانّي، المُفرَدات: (صرف).

﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأنعام: 65]، فلهذا اللَّفظ سمةٌ تعبيريَّةٌ خاصَّةٌ في هذه السُّورةِ.

تَفصِيلُ الآيَاتِ بيانُها وإيضاحُها كالقطعةِ الواحدةِ

أمَّا التَّفصيلُ؛ فَقَد وَرَدَ في مَوضِعٍ وَاحِدٍ مِنَ السُّورَةِ نَفسِهَا هو قَولُهُ تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنعام: 55]، وقَولُه في سُوَرٍ أخرَى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأعراف: 32]، وقولهُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾ [الأعراف: 174]، وقولهُ: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [التوبة: 11]، فتفصيلُ الآياتِ يَكُونُ مُنسَجِمًا مع حَياةِ النَّاسِ، وَمُتَجَدِّدًا مع حاجاتِهم، فالقُرآنُ الكَرِيمُ رَاعى تِلكَ الحَاجَةَ بذلِكَ التَّفصيلِ والتَّنويعِ.

دِلالَةُ استِعمَالِ الفِعلِ المُضارِعِ ﴿نُصَرِّفُ﴾:

التَّجَدُّدُ في المَعاني هُو مِحوَرُ إعجازِ القُرآنِ الكَرِيمِ

في قولِهِ تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ﴾: يفيد الفِعلُ المُضارِعِ ﴿نُصَرِّفُ﴾ التَّجَدُّدَ مع الزَّمَن ليدلّ على الإعجَازِ في آياتِ اللهِ، وما فِيها منَ القُدرَةِ على تَوليدِ المَعاني، فَلم يَقُل: صرَّفنَا الآيَاتِ؛ باعتِبَارِ أنَّهَا قد أتَتْ بمعَانٍ، واستكمَلَ النَّاس ما أخَذَت منها منَ المَعَاني والآيات، وانتَهَى الأمر، لكنَّه قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ﴾؛ ليدُلَّ على تجَدُّدِهَا مع الزَّمَن وعطائِهَا المُتنوِّعِ، وقُدرتِهَا على أن تُقدِّمَ الأدِلَّةَ على الهِدَايَة والإيمانِ باللهِ سُبحَانَه.

نُكتَةُ التَّعبيرِ بـ (الآيات) دُونَ (القُرآنِ):

في قولِهِ تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ﴾ عبَّر بـ (الآيات) دُونَ (القُرآن)؛ لأنَّ الآيةَ هيَ موردُ إعجازِ القُرآنِ الكريمِ؛ ولبيانِ

إعجازِ آياتِ اللهِ المَسطُورةِ، بعدَ أن ذكَرَ إعجازَ آياتِ اللهِ المنظُورَةِ مِنَ الخَلقِ؛ قال تعالى في سُورَةِ الأنعَامِ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٠٣﴾ [الأنعام: 102 - 103]، فَناسَب ذِكرُ آياتِ القُرآنِ الكَريمِ، فَتَوافَقَت، وتَناسَبَت آياتُ الخَلقِ مع آيات القُرآن في إعجازِ المُخَاطَبينَ.

تَتَكَاملُ الآياتُ الكَونِيَّةُ والآيَاتُ القُرآنِيَّةُ كشواهِدَ حَيَّةٍ على الإيمانِ باللهِ

معنى الواوِ في قولِه تعالى: ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾:

الواوُ في قولِهِ: ﴿وَلِيَقُولُواْ﴾ اعتراضيَّةٌ على اعتبارِ أنَّ قَولَه: ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾ جملةٌ اعتراضيَّةٌ، أو هي عاطفةٌ[1]، عطفَت خبرًا على خبرٍ، وذلك من قبيلِ الإخبارِ بالغيبِ؛ إذ تكشِفُ الآيةُ عمَّا في دواخلِ أنفسِهِم منَ العِنَادِ وتقليبِ الرَّأيِ بُغيَةَ الإنكارِ على القرآن الكريمِ وعلى رسولِ اللهِ ﷺ وتكذيبِه، فكشَفَ قولُهُ: ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾ عن واحدةٍ منَ الآياتِ وتصريفِهَا، وهي آياتُ الأنفُسِ وما تُكِنُّهُ من مسائلَ مُغيَّبةٍ كامنةٍ فيها.

الإخبارُ عن غيبِ الأنفُسِ؛ من أوجُهِ الإعجازِ وفرائدِ الإيجاز

معنى اللَّامِ في قوله تعالى: ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾:

قوله: ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾ معطوفٌ على ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأٓيَٰتِ﴾، وإنَّ قولَ المشركين للرَّسولِ ﷺ: (دَرَسْتَ)؛ لا يناسبُ أن يكونَ علَّةً لتَصريفِ الآيات، فتعيَّنَ أن تكونَ اللَّامُ مستعارةً لمعنى العاقبة والصَّيرورة، أي: لتصير عاقبةُ أمرِهم إلى أن يقولوا: درسْتَ[2]، كالَّتي في قولِهِ تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًاۗ﴾ [القصص: 8]، والمعنى: فكان لهم عدوًّا، وهذا كقوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ﴾ [النحل: 103]، وهم قد قالوا ذلك من قبلُ، ويقولونه، ويزيدون بمقدارِ زيادةِ تصريفِ الآياتِ، فشبَّه ترتُّبَ قولهم

اللَّامُ للعاقبةِ، أي: تصريفُ الآياتِ صيَّرَ المشركين للاتِّهام

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/170.

(2) العكبريّ، التّبيان في إعراب القرآن: 1/528.

على التَّصريف بتَرتُّبِ العلَّةِ الغائيَّةِ، واستُعيرَ لهذا المَعنى الحَرفُ المَوضوعُ للعِلَّةِ على وجهِ الاستِعارَةِ التَّبعيَّة، والمعنى يقولون: تَعَلَّمتَ؛ طعنًا في أمِّيَّة الرَّسولِ ﷺ لئلَّا يلزمهم أنَّ ما جاءَ به منَ العلمِ وحيٌ منَ اللهِ تعالى[1]، ولا زالَت هذه الشُّبَهُ الَّتي لا يَنطَلِي فَسَادُهَا على ذِي لُبٍّ يتذرَّعُ بها المُنكِرُون إلى يومِنا هذا، كحجَّةٍ لإنكارِ الرِّسالَةِ المُحَمَّدِيَّةِ، وادِّعائهم أنَّ ما جاء بهِ ﷺ هو مُقتبَسٌ مِن عند مَن سبقَهُ منَ الرِّسالاتِ النَّصرانيَّةِ واليهوديَّة.

أو تكون الواو عاطفةً جملة: ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾ على علَّةٍ محذوفةٍ، أي: مثلَ ذلك التَّصريفِ نصرِّفُ الآياتِ لنُلزِمَهم الحجَّةَ، وليقولوا: درسْتَ[2].

سرُّ التَّعبيرِ بصيغة المضارع في قولِهِ تعالى: ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾:

لم يقُل: (وقالوا: درستَ)، وهم قد قالوا، فآثرَ المضارعُ في الإخبار عن شيءٍ قد قيل؛ لأنَّ هذا الَّذي قالوه سوف يتكرَّرُ من أمثالهم على مدى الأزمنةِ القادمةِ، وسيقولون بأنَّ محمَّدًا قد دَرَسَ، وتعلَّمَ، ولم يكن أمِّيًّا، فيكون في التَّعبيرِ بصيغَةِ المُضَارع إعجازٌ غيبيٌّ، ومستقبليٌّ، مستمرٌّ إلى يوم القيامةِ، وهو يكشفُ كذلك عن سُنَّةٍ كونيَّةٍ في الخلق وطبائع الأنفسِ البشريَّةِ المُنكِرَةِ للإيمان.

كَشَفَ القرآنُ عن طبائعِ الأنفُسِ البشريَّةِ المُنكِرَةِ للإيمَانِ

فائدةُ إبهَامِ الفَاعِلينَ في قولِهِ تَعالى: ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾:

إبهامُ الفَاعِلِينَ في قولِهِ تعالى: ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾؛ لتحقيقِ فائدةِ أن يدخُلَ في ذلك جميعُ مَن صدرَ عنه هذا القولُ أو مضمونُه، منَ المشركين وغيرهم إلى قيام السَّاعَةِ، وهذا ترشيحٌ للإعجاز الغيبيِّ في النَّصِّ القُرآنيِّ، وكشفٌ عن خفَايا النَّفسِ البشريَّة، وما تُحدثُه تربيةُ الكافرين لأبنائهم أو مجتمعاتهم، قال

يتجدَّدُ المُعارِضونَ للإيمانِ في الزَّمانِ كُلَّهَ بصُوَرٍ مختلفةٍ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/422.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/170.

تعالى على لسان نوحٍ عليه السلام: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾ [نوح: 27].

بلاغةُ التَّعبير بمفردةِ (دَرَسَ) في قولِهِ تعالى: ﴿وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ﴾:

بينَ الدِّراسةِ والتَّعلُّم فرقٌ كبيرٌ، فالتَّعلُّمُ هو مجرَّدُ اكتساب العلم، أمَّا الدِّراسةُ؛ فهي اكتسابُ العلم عن جهدٍ زائدٍ، واستمرارٍ إلى مرحلةِ الإتقان، ولا تكون إلَّا عن مُعلِّمٍ خبيرٍ يجمعُ بين العلم والتَّربيةِ والخبرةِ، فاستُعمل هذا اللَّفظ لِمَا فيه من هذه الخصوصيَّةِ، ولأمرٍ آخرَ: وهو أنَّ قولَه: ﴿دَرَسْتَ﴾ جاءَت فيه قراءاتٌ قرآنيَّةٌ متنوِّعةٌ، حقَّقَتْ مجموعةً منَ المعاني والدِّلالات.

الـدِّراسَـةُ بـذلُ جُهدٍ زائدٍ يحقِّقُ غايةً مقصودةً

تَوجِيهُ القِرَاءَاتِ القُرآنِيَّةِ في قَولِهِ تعالى: ﴿دَرَسْتَ﴾:

قال الزَّجَّاج[1]: فيها قراءاتٌ: ﴿دَرَسْتَ﴾ مجزوم التَّاءِ، وهي قراءَةُ ابنِ عامرٍ، والمعنى: تقادَمَت[2]، أي: هَذا الَّذي تَتلُوهُ علينا قد تَطاوَلَ، ومَرَّ بِنا، وامتُحِيَ أثَرُهُ من قُلوبِنا، كما تَدرُسُ الآثارُ[3]. و﴿دَرَسْتَ﴾ بنصب التَّاء: قرأتَ وذاكرتَ، يعني: تعلَّمتَ من جَبْر ويَسَار، ويُقالُ من سلمانَ الفَارسيِّ رضي الله عنه، مثل قولِه: ﴿يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النّحل: 103]، يعني: سلمانَ[4]. أرَادُوا: أنَّكَ قرأتَ كُتُبَ أهلِ الكِتَاب.

مـدارُ المَعـانِي المتنـوِّعـةِ على اتِّـهامِ المشركين النَّبيَّ بالافتراءِ

وقرأ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرو: ﴿دَارَسْتَ﴾[5]، وقال أبو منصور: "مَن قرأ ﴿دَارَسْتَ﴾ بألفٍ؛ فتأويلُهُ: جادَلتَ اليهودَ وجَادلوك، كذلك قالَ ابن عبَّاس، وبه قرأ مجاهدٌ، وفَسَّرَهُ: قرأتَ على اليهودِ، وقرَؤُوا عليكَ، وكُلُّه جائزٌ"[6].

(1) الزّجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 2/279 - 280.
(2) الأزهريّ، معاني القراءات: 1/376.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/608.
(4) الكَرْمانيّ، مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني، ص: 168.
(5) ابن الجَزَريّ، النّشر في القراءات العشر: 2/261.
(6) الأزهريّ، معاني القراءات: 1/377، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/608.

موقعُ جُملةِ ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ﴾ بينَ السَّابقةِ واللَّاحقةِ:

لا يملكُ المنكرونَ بين تصريفِ الآياتِ وبيانِها لقومٍ يعلمون إلَّا الاتِّهامَ الأجوفَ

جملة: ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ﴾، اعتراضيَّةٌ، والقَائلُونَ هم أهل مكَّةَ حينَ يُقرأ عليهمُ القُرآنُ، والدَّرسُ: القِراءَةُ والتَّعليمُ[1]، والمعنى: أنَّا نُصَرِّفُ الآياتِ، ونبيِّنُها تَبْيينًا من شَأنِهِ أنْ يصدرَ منَ العَالِمِ الَّذي دَرسَ العِلمَ، فيقول المشركون: دَرَسْتَ هذا، وتلقَّيتَهُ منَ العُلماءِ والكُتبِ؛ لإعراضِهم عنِ النَّظرِ الصَّحيحِ الموصلِ إلى أنَّ صدُورَ مثل هذا التَّبيينِ من رجلٍ يعلمونَهُ أُمِّيًّا، لا يكون إلَّا من قِبَلِ وحيٍ منَ اللهِ إليهِ[2].

فتدلُّ الجملةُ ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ﴾ على أنَّ المُجادلين لرسولِ اللهِ ﷺ علموا أنَّ ما يَنطقُ بهِ هو أمرٌ عظيمٌ، فلا مناصَّ عندهُم منَ الإنكَارِ والتَّعريضِ والتَّجهيلِ، فاضطرُّوا إلى تقديمِ حجَّةٍ، مفادُها أنَّه قد تناولَ هذا العِلمَ الجَليلَ الَّذي يأتي بهِ، وهو القرآنُ والآياتُ العظيمةُ الَّتي فيه، بوسَائطَ بشريَّةٍ لَها الأسبقيَّةُ عليه في العِلمِ والدِّرَايَةِ، فهو يَتَدَارَسُ معهُم تلكَ المَعَاني الجليلةِ، فَكَشَفَتِ الجُملةُ الأولى – وهي قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ – عن جليلِ قدرِ الآياتِ، وعظيمِ شأنِ اللهِ سبحانَهُ أنَّه قَلَّبَ الآياتِ، وصَرَّفَهَا، وبيَّنَ وجُوهَهَا، ومَنَحَهَا القُدرَةَ على إعجازِ المُخاطَبين، وكشفَتِ الجُملةُ الأخيرةُ – وهي قوله تعالى: ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ – عن أنَّ العالمينَ هُم مَن يَعرفُ قَدْرَ آياتِ القرآنِ الكريمِ، وقُدرتَهُ تعالى في تصريفِ آياتِ القرآنِ الكريمِ، وما فيها منَ الإعجازِ العظيمِ.

مَعنَى اللَّامِ، والتفريق بينهما في الموضعين:

صُرِّفَتِ الآياتُ لتحقيقِ اليقينِ في الصُّدورِ وتبيينِ الحقِّ في العقولِ

وذلك في قَولِه تعالى: ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾، وفي قوله تعالى: ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ﴾ ففَرقٌ بين اللَّامين في ﴿وَلِيَقُولُواْ﴾ و﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ﴾ حيث إنَّ الأولى مجازٌ، والثَّانيَةَ حَقيقَةٌ، وذلك أنَّ الآياتِ صُرِّفَتْ

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 2/176.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/422.

للتَّبيين، ولم تُصَرَّفْ ليقولوا: دَرَسْتَ، ولكنْ حَصَلَ هذا القول بتصريفِ الآياتِ، كما حَصَلَ التَّبيين، شُبِّهَ به، فَسيقَ مَسَاقَهُ[1]، أو أنَّ لامَ ﴿وَلِيَقُولُواْ﴾ كما في لام ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ﴾، هي لامُ كي، فاللَّام في ﴿وَلِيَقُولُواْ﴾ بمعنَى: لِئَلَّا يقولُوا، أي: صُرِّفَت الآياتُ، وأُحكِمَتْ لئلَّا يقولُوا: هذِهِ أساطيرُ الأوَّلين قد تُلِيَتْ، وتكرَّرت على الأسماعِ.

نكتةُ التَّعبيرِ بالمُضارعِ في قولِه تعالى: ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾:

لم يقُل: (وبيَّنَّاه)، وقد تحقَّقَ البَيَان، وقال بالمُضارع: ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: وفائدةُ ذلك إثباتُ تجدُّدِ البَيَان مع الأجيال القَادِمَةِ إلى يوم القِيَامَةِ، هذا فضلًا عن تجدُّدِ المعاني فيه، فهو الكِتَابُ المُعجزُ الَّذي يتجدَّدُ بيانُه مع الزَّمَن.

يتجدَّدُ بَيانُ القُرآنِ مع تَجدُّدِ الأجيَالِ والأفهام

سرُّ التَّعبيرِ بالضَّميرِ المُذَكَّرِ المُفرَدِ في: ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ﴾:

في قولِه تعالى: ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، لم يقُل: (ولِنُبَيِّنَهَا)، مع أنَّ المذكورَ سابقًا هو الآياتُ، وهي مؤنَّثٌ، فعدل عن ذلك، وعبَّر بضميرِ المذكَّر، فأرادَ به القرآنَ الكريمَ؛ لأنَّ كلَّ آيةٍ فيه هي امتدادٌ لجميع آي القُرآنِ منَ المعاني والتَّصريف والإعجاز، وهو الآياتُ بمجموعِها، ليُعلمَ أنَّ القرآنَ الكريمَ مُعجزٌ بكلِّيَّتِه، ومَن يؤمنْ ببعضٍ من آياتِه؛ فلا يُسمَّى مُؤمنًا إلَّا إنْ آمنَ بِهِ كلِّه، وكذلك فإنَّهُ مَن أنكَرَ آيةً واحدةً منهُ؛ فقد أنكرَ القرآنَ الكَريمَ كُلَّهُ.

القرآنُ الكريمُ هو المقصودُ ببيانِ الآياتِ والبَصَائرِ

بلاغةُ التَّحوُّلِ منَ الجمع في ﴿ٱلْآيَٰتِ﴾ إلى المفردِ في قولِه تعالى: ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ﴾:

وقولهُ: ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، أي: ﴿ٱلْآيَٰتِ﴾، وأعاد الضَّميرَ مفردًا، وهو الْتِفاتٌ ضَمَائريٌّ من الجَمعِ ﴿ٱلْآيَٰتِ﴾ إلى المفرد، دلَّ عليه الضَّميرُ المتَّصلُ في ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ﴾؛ لأنَّها القُرآنُ، كأنَّه قال: وكذلك نُصرِّفُ القرآنَ، أو على القرآنِ، ودلَّ عليه ﴿ٱلْآيَٰتِ﴾، أو

القرآنُ الكريمُ وحدةٌ كُلِّيَّةٌ لا تنفكُّ أجزاؤها عن وصفِ الإعجازِ

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/55.

﴿دَرَسْتَ﴾[1]، وفوائدُ الالتفَاتِ هنا عَديدَةٌ، منها: أنَّ القرآنَ هو جامعُ الآياتِ الكونيَّةِ والمسطورةِ، وأنَّ مَن آمنَ بآيةٍ منها، فيستلْزِم ذلك أن يؤمنَ بآياتِهَا كلِّها، وأنَّ القرآنَ الكريمَ هو مصدرُ البصائرِ كلِّهَا.

دلالةُ التَّعبيرِ بـ(قومٍ):

في قولِهِ تعالى: ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ لم يقُل: لأناسٍ أو لأمَّةٍ أو لِطائفَةٍ، بل خصَّ القومَ بالعلمِ، وهوَ لفظٌ كثيرُ الورودِ في القرآنِ الكريمِ، ممَّا يعودُ أصلُه إلى الجذرِ اللُّغويِّ (قوم)، وهذا الجذرُ يدلُّ على جماعةٍ منَ النَّاس، وربَّما استُعير في غيرِهم، قالوا: (القوم) وهو جمعُ امرئٍ من غير لفظِه، ولا يكون ذلك إلَّا للرِّجالِ، والقومُ يُجمَعُ على أقوام، والقومُ جماعةُ الرِّجَالِ في الأصل دون النِّسَاء، ولذلك قال: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ [الحُجُرات: 11]. وفي عامَّةِ القرآنِ أُريدَ به الرِّجالُ والنِّسَاءُ جَميعًا[2]، والسِّيَاقُ هو الحَاكِمُ، لكنَّهُ عمومًا وَرَدَ ليدُلَّ على القُوَّةِ والعَزيمَةِ والقُدرَةِ على تمييزِ الحَقِّ منَ الباطِلِ، فمنها: القيامُ مثل قولِهِ تعالى: ﴿فَءَاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ [المائدة: 107]، والقيُّومُ كقولِهِ تعالى: ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: 255]، والتَّقويمُ مثل قولِهِ تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ [التِّين: 4]، والقيِّمُ قال تعالى: ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ [الأنعام: 161]. فتدلُّ جميعُها على القُدرةِ والاستطاعَةِ، هذا فضلًا عن دلالةِ القَومِ على جماعَةِ الرِّجَالِ لدلالةِ القوَّةِ والتَّمكُّنِ فيهم، فقد أوثرَ القَومُ على النَّاس أو الجَماعة؛ لأنَّ النَّاسَ فيهم القَويُّ، وفيهم الضَّعيفُ والبَالِغُ والطِّفلُ الصَّغيرُ، على خلافِ القومِ الَّذينَ أُريدَ بِهِم جماعةٌ قادرةٌ على التَّمييزِ والفَهمِ والتَّقديرِ السَّليم، ثمَّ وصفَهم بأنَّهم يعلمون لبيانِ رشدِهم وعلمِهم.

المقصودُ بالعلمِ وجودُه في حياةِ العبادِ لا ترداده على ألسُن الوُعّاظ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/610.

(2) الرّاغب الأصفِهَانّي، المفردات: (قوم).

سرُّ التَّعبيرِ بالعِلمِ:

في قولِهِ تَعالى: ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ لَم يَقُل: لِقومٍ يَفقَهُونَ، أو يُؤمِنُونَ، أو يُوقِنُونَ لِسَبَبَينِ، **الأوّلُ**: أنَّ التَّناسُبَ واضحٌ بين البيانِ والعلمِ، فإنَّ طريقَ العلمِ بيانُهُ، **والآخر**: أنَّ العلمَ هو أصلُ الفقهِ والفهمِ واليقينِ والإيمانِ، فهو الجوهرةُ الَّتي تُبنَى عليها بقيَّةُ الرَّكائزِ.

العلمُ أصلُ الفضائلِ وركنُ العظائمِ وطريقُ النَّجاةِ

دلالةُ التَّعبيرِ بالمُضارِعِ:

في قولِهِ تعالى: ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾، قال: ﴿يَعۡلَمُونَ﴾، ولم يقُل: عَالِمُون؛ لأنَّ صفةَ العِلمِ الزِّيادةُ مع الزَّمَنِ، فكلَّمَا تقدَّمَ العَالِمونَ في دراسَاتِهم، وبَذَلُوا جُهدَهُم، ازدادُوا علمًا، هذا جانبٌ؛ ثمَّ إنَّ من إعجازِ القُرآنِ الكريمِ أنَّه يُعطي لكلِّ جيلٍ أو قومٍ على قدرِ طَاقَتِهِم، ويَتَجَدَّدُ هذا العطاءُ مع الزَّمَنِ، فهو يعطي للأجيَالِ والأقوامِ القَادِمَةِ شيئًا جَديدًا لم يُعطِهِ للأجيَالِ السَّابقةِ، فقال: ﴿يَعۡلَمُونَ﴾ لِدلالةِ التَّجَدُّدِ في العِلمِ عندَهُم.

العلمُ يَتَجَدَّدُ عَطاؤه بتجدُّدِ طلبِ الأجيالِ له والحرصِ عليه

بلاغةُ التَّعريضِ:

في قولِهِ تعالى: ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ جاء التَّعريضُ من جَانِبَين، **الأوَّلُ**: بَيانُ الحَقِّ لِلعالِمينَ طَريقٌ إلى إيمانِهِمْ بِهِ، فالجملةُ تَضمَّنَت إنكارًا على الَّذين لا يُؤمنون منهم، **والآخر**: التَّعريضُ بأولئك الَّذين يُجانِبُونَ سَبيل العلم؛ إذ لا تُعلم مكانَةُ الرِّسالةِ إلَّا بالعِلمِ، ولا يُدرَكُ إعجَازُ القُرآنِ الكريمِ إلَّا بالعِلمِ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: 28].

مَن لا يعلمُ يبقى في غياهبِ الجهلِ والضَّلالِ

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

التَّصريفُ والتَّفصِيلُ:

التَّفصيلُ والتَّصريفُ يشتركان في الإيضاحِ والتَّفسيرِ والشَّرحِ، ويفترقان في كون التَّفصيل هو جعْلُ المعنى الواحدِ مُفصَّلًا قائمًا

التَّفصيلُ جعْلُ المعنى قائمًا بذاتِهِ، والتَّصريفُ تنوُّعُ عرضِهِ

بذاتهِ، مع ارتباطهِ ببقيَّة المعاني برابطةٍ وثيقةٍ، أمَّا التَّصريفُ؛ فهو عرضُ المعنى الواحد بصورٍ مُتنوِّعةٍ.

فالتَّصريفُ هُو التَّغييرُ، قال تعالى: ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ [البقرة: 164]، تغييرُها من جهَةٍ لأخرَى، والتَّصريفُ في المَسألَة: أن يَذكُرَها بِصُوَرٍ شَتَّى، يُغيِّرُ فيها حتَّى يستَكمِلَ القَولَ فيها، أمَّا التَّفصيلُ؛ فهو التَّبيين، وهو أحدُ أمرين: تبيينٌ بمعنى التَّوسُّع في الشَّرحِ والتَّوضيح، أو أن يأتِيَ بأمورٍ متعَدِّدَةٍ مختلفةٍ، هذهِ وهذهِ وهذهِ، يصيرُ فصلًا، وهذا موجودٌ في القُرآن، فيذكرُ موضوعاتٍ متعدِّدَةً تأتي متتاليةً، كقوله تعالى في سورة الشَّمس: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨﴾ [الشمس: 1- 8]. فتناولت هذه الآياتُ جملةً منَ الموضوعاتِ المختلفةِ في سياقٍ واحدٍ.

العلمُ والفقهُ:

الفقهُ أخصُّ منَ العِلمِ، فهو دقيقُ الفهمِ وبديعُ الإدراكِ

العلمُ مُتحقِّقٌ في الَّذين يعلمونَ، والَّذين يفقهونَ، لكنَّ الَّذين يفقهون أولئك الَّذين يُدركون عظيمَ مكانةِ هذا العلم، ويدركون بعلمهم إعجازَ القرآنِ الكريم، فالفرقُ بين (يفقهون) و(يعلمون) هو أنَّ الفقهَ في اللُّغةِ معناهُ الفَهمُ الدَّقيق، فلا يُطلَقُ الفقهُ إلَّا على أمرٍ ذي معنى دقيق، وفي قولهِ تعالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ۝٦٥﴾ [الأنعام: 65] تنبيهٌ على اختلافِ الآياتِ والحججِ، وضروبِ الأمثالِ؛ وفي ذلك ما يقتضي الفهمَ لا محالةَ، وهو من خصائص الفقه، ثمّ فإنّ اللّهُ تعالى يصرِّفُ الآياتِ لقومٍ يعلمون، ولعلَّ هؤلاء يفقهون دقيقَ ما في تلك الآيات، فيكون التَّصريفُ للَّذين يعلمون، ولعلَّهم يفقهونَ، قال الرَّاغب: "الفقهُ هو التَّوصُّلُ

إلى علمٍ غائبٍ بعلمٍ شاهدٍ، فهو أخصُّ منَ العلم"[1]، وأمَّا العلمُ فهو إدراكُ الشَّيءِ على ما هو عليهِ، فإذا كان الشَّيءُ دقيقًا سُمِّيَ فقهًا، إذًا فالفقهُ علمٌ وزيادةٌ، فيختم الكلامَ بـ (يفقهون)؛ إذا تضمَّنَ معنًى دقيقًا يحتاج إلى فهمٍ، ويختمُ بـ (يعلمون)؛ إذا كان يحتاجُ إلى إدراكٍ فقط.

(1) الرّاغب الأصفِهَانّي، المفردات: (فقه).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي عشر، سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 11 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-63-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 11 : سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-63-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9795022 بتاريخ 2023/12/19م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»